﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: 105 - 107]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

بعدَ تسليمِ المُعرضين بالبعثِ شرعَ ببيانِ نهايةِ ما هو أشدُّ منهم

لمّا أخبرَ النَّظمُ الجليل عن أحوال يوم القيامةِ وأهواله، وما يلاقيه المعرضونَ عَنِ الذِّكرِ الحكيم، وبين استقصارهِم مدَّةَ لُبثِهم في الدُّنيا؛ أتبعه في هذه الآيات بالإخبار عن بعض إعراضهم، فقال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾؛ شكًّا منهم في البعث لظنِّهم أنَّها تكون موجودة على كلِّ حال؛ لأنَّها أشدُّ الأشياء قوَّةً، وأطولها لبثًا[1]، فأشار إلى أنَّه سوف يزيلها عن بكرتها، ويقلعها من أماكنها قلعًا من الجذور، ثمَّ يدكُّها، فيجعلها هباء منبثًّا، فتضمحلُّ وتتلاشى، فلا يبقى لها أثرٌ، ويجعل الأرض قاعًا صفصفًا، مستويًا لا يرى فيها النّاظر عِوَجًا، ولا يلمح فيها أودية، ولا أماكن منخفضة ولا مرتفعة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنسِفُهَا﴾: (نسف) أصْلٌ يَدُلُّ على كَشفِ شَيْءٍ، وانْتَسَفَتِ الرّيحُ الشَّيْءَ مِثْلَ التُّرابِ، كَأنَّها كَشَفَتْهُ عَنْ وجْه الأرْض، وسَلَبَتْهُ، ونَسْفُ البِناءِ: استِئصالُهُ قَطْعًا[3]، والنَّسْفُ: نَقْرُ الطّائِرِ بمِنْقاره، ونَسَفَ البعيرُ الكلأ: إذا اقْتَلَعَهُ بأصله، وانْتَسَفْتُ الشَّيْءَ: اقْتَلَعْتُهُ[4]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧﴾ [طه: 97] أي: نطرحه فيه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 344.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، ص: 513.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نسف).
(4) ابن منظور، اللّسان: (نسف).

طَرْحَ النُّسافَة، وهي ما تثُورُ من غُبارِ الأرْض[1]، والمراد به في الآية الكريمة التَّذريةُ، أي: تصير الجبال كالهباء المنثور[2].

2) ﴿قَاعًا﴾: (قوع) أصْلٌ يَدُلُّ على تَبَسُّطٍ في مَكانٍ، مِنْ ذَلِكَ القاعُ: الأرْضُ المَلساءُ[3]، القاع: المستوي من الأرض، وهو المكانُ المستوي الواسع من وطاء الأرض، يعلوه ماءُ السَّماء، فيمسكه، فيستوي ماؤه، وجمعه: قيعة وقيعان، يقال: قاع وقيعة، قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النّور: 39]، أي: مكانٍ مستوٍ، فهو أظهرُ للمعان السَّراب والإحاطة به، بخلاف المحدودب من الأرض[4]، والقاعُ ما انْبَسَطَ مِنَ الأرض[5]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ الأرضُ الملساء[6].

3) ﴿صَفْصَفًا﴾: (صفّ/ صفف) هُوَ اسْتِواءٌ في الشَّيْءِ وتَساوٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ في المَقَرِّ، والأصْلُ في ذَلِكَ الصَّفْصَفُ، وهُوَ المُسْتَوي مِنَ الأرْض[7]، والصَّفُّ: السَّطْرُ المُسْتَوي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ معروفٌ، وجَمعُهُ: صُفُوفٌ، وصَفَفْتُ القَوْمَ، فاصْطَفُّوا؛ إذا أقمتهم في الحَرْبِ صَفًّا، وأرض صَفْصَفٌ: مَلْساء مُسْتَوية، وقيل: الصَّفْصَفُ الَّذي لا نَباتَ فيهِ، أو القَرْعاء المُسْتَوية، وجَمعُهُ صَفاصِفُ[8]، وقوله تعالى: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، أي: هو الخالي والمستوي من الأرض: كأنَّه على صفٍّ واحدٍ[9]، أو هو الأرضُ ملساءُ لا نبات فيها[10].

4) ﴿عِوَجًا﴾: (عوج) أصْلٌ يَدُلُّ على مَيَلٍ في الشَّيْءِ[11]، وهُو الِانْعِطافُ فيما كانَ قائِمًا، فمالَ، كالرُّمحِ والحائِطِ، وكلُّ ما كانَ قائِمًا، يُقالُ فيهِ: العَوَجُ، بِالفَتْحِ، ويُقالُ: شَجَرَتُكَ فيها عَوَجٌ شَديدٌ، والاسْمُ العِوَجُ، بِكَسْرِ العَيْنِ، وعاجَ يَعُوجُ؛ إذا عَطف، والعِوَجُ في الأرض:

(1) الرّاغب، المفردات: (نسف).
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 100.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوع).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (قوع).
(5) ابن منظور، اللّسان: (قوع).
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 345.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صف).
(8) ابن منظور، اللّسان: (صفف).
(9) السّمين، عمدة الحفّاظ: (صفف).
(10) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 212.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عوج).

أَلّا تَسْتَوِيَ[1]، والعَوَجُ يقال فيما يُدرَكُ بالبصر سهلًا؛ كالخشبِ المنتصب ونحوه، والعِوَجُ يقال فيما يُدرَكُ بالفكر والبصيرةِ، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزّمر: 28][2]، والمرادُ به في الآية الكريمة الانخفاضُ والارتفاع، أي: لا تَرى فيها واديًا ولا رابيةً[3].

5) ﴿أَمْتًا﴾: (أمت) أَصْلٌ واحِدٌ لا يُقاسُ عليه، وهُوَ الأمتُ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[4]، أي: لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، أي: لا حدبَ فيها ولا نَبَكَ، والنَّبَكُ: التِّلال الصغار، والأمتُ في الأصل: المكانُ المرتفِعُ، ويقال: ملأ مزادتَهُ، فلا أمَتَ فيها، أي: لا غرضَ فيها ولا تثنّيًا[5]، والأمتُ: المكانُ المُرْتَفِعُ، وشيءٌ مأْمُوتٌ: مَعْرُوفٌ، والأمتُ: الانخفاضُ، والارْتفاعُ، والاختلافُ في الشَّيءِ[6]، والمرادُ به في الآية الكريمة النتوءُ اليسير[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سؤالُ النّاسِ عن الجبال، وبيانُ دكِّها واضمحلالها يوم القيامة

يخبرُ النَّظمُ الكريم عن سؤال النّاسِ النَّبيَّ ﷺ عن أحوال الجبال يوم القيامة، آمرًا إيّاه بأن يقول لهم: بأنَّ اللّه تعالى سينسفها نسفًا، فيقلعها من أصولها، ثمَّ يجعلها كالرَّمل المتناثر، أو كالصّوف المنفوش الَّذي تفرِّقه الرّياح، فيتركها بعد ذلك أرضًا منكشفةً متساوية ملساء، لا نبات فيها ولا بناء، فلا ترى فيها - أيُّها النّاظرُ - بعد اقتلاع الجبال منها مكانًا منخفضًا، ولا مكانًا مرتفعًا، بل تراها كلَّها مستوية ملساء كالصَّفِّ الواحد[8].

(1) ابن منظور، اللّسان: (عوج).
(2) الرّاغب، المفردات: (عوج).
(3) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 312 - 213.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمت).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أمت).
(6) ابن منظور، اللّسان: (أمت).
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 88.
(8) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 151 - 152.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في صدر الآية:

زلـزلـةُ الأرض ونسفُ الجبال مـــن أعـظـم الأهوال

افتتحَ النَّظمُ الجليل الجملةَ - في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ - بالواو الاستئنافيَّة[1]، فالجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير تعنُّتهم وإصرارهم على الجدل والمكابرة والاستهزاء[2]، فلمّا وصف ﷺ يوم القيامة وأحواله، وما فيه من أهوال؛ بيَّن حال من لم يؤمن بالحشر، فحكى سؤالهم عن حال الجبال في يوم الحشر، متسائلين عن مآلها وشأنها[3].

سرُّ التَّعبير بالمضارع ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾:

لا ينفكُّ الكافر عـــن عـنـــاده وإصـــراره على الاســـتـــهـــزاء بالدّين

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع الدّالِّ على الاستمرار والتَّجدُّد، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ سؤالهم هذا كان متكرِّرًا، وفيه إشارة إلى استمرارهم على العناد وتحرّيهم الحججَ؛ لدحض داعي الإيمان بعزيمة وإصرار لا ينفكّون عنه.

دلالةُ خصوصِ السُّؤال عن الجبال:

الجبالُ أشدُّ ما على الأرض قوَّةً، والـسُّـؤال عن مآلها تشكيكٌ من المعاندين

حكى النَّظمُ الجليل في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ عن سؤالهم عن مصير الجبال، وإنَّما المرادُ من سؤالهم السُّؤال عن حالها يوم القيامة، وعن مآلها؛ تعبيرًا عن شكِّهم في البعث، حيثُ ظنّوا أنَّها لن تزول لقوَّة شأنها وثباتها[4]، لكنَّ الله سوف يزيلها عن مقارِّها، فيسيِّرها مقذوفة في الفضاء، حتّى تتساوى مع سطح الأرض، فيذر مقارَّها ومراكزها سهلًا مستويًا

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 423.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 248.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 100.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 344.

أملسَ لا تَرى فيها نتوءًا يسيرًا[1]، وخصّوا الجبال بالسُّؤال؛ لأنَّهم اتَّخذوها دليلًا على استحالة البعثِ ووقوع البعث والحشر، كما أنَّها تدلُّ على أنَّ سؤالهم وقع على وجه الاستهزاءِ.

نكتةُ دخولِ الفاء في الجواب ﴿فَقُلْ﴾:

سرعةُ الإيفاءِ بالبيان ضرورةٌ في ردِّ الطَّعن في الاعتقاد

أدخلَ النَّظمُ الجليل حرفَ الفاءِ على فعل الأمر (قل) في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾، فجاءَ هنا قوله: ﴿فَقُلْ﴾ بفاء، وكلُّ جوابٍ فيه لفظُ (قل) في القرآن الكريم؛ أتى بغير فاء إلّا هذا؛ لأنَّ المعنى إن سألوك عن الجبال؛ فقل، فتضمَّن الكلام معنى الشرط؛ للدَّلالة على تعقيب الجواب على السُّؤال، بلا مهلة؛ "لأنَّ مقصودهم من هذا السُّؤال الطَّعنُ في الحشر والنَّشر، فلا جرم أمَرَهُ بالجواب مقرونًا بفاء التَّعقيب؛ لأنَّ تأخيرَ البيان في مثل هذه المسألة الأصوليَّة غيرُ جائزٍ، أمّا في المسائل الفروعيَّة؛ فجائزٌ، لذلك ذكر هناك (قل) من غير حرف التَّعقيب"[2]، فتدلُّ هذه الفاء على المسارعة إلى إزالة ظنِّ السّائل بأنَّ الجبال باقيةٌ على حالها يوم القيامة[3].

سرُّ التَّعبيرِ بجملة ﴿يَنسِفُهَا﴾:

أشـدُّ مـا تـراه العين ثابتًا يفتُّ يوم القيامة فتًّا، ويُذرى تذريةً

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالنَّسف؛ للإخبار عن حال الجبال يومَ القيامةِ، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾؛ للدَّلالة على شدَّةِ الأهوال في ذلك اليوم، فالجبال الَّتي هي أثبت ما يراه الإنسانُ، ستُنسَفُ في ذلك اليوم، والنَّسف عبارةٌ عن اقتلاعها من أماكنها وتفتيتها وتذريتها في الهواء[4]، فالنَّسفُ أبلغُ ما يبيِّن شدَّة تلك الإزالةِ وقوَّتها.

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 148.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 100.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 152.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 345.

نكتةُ التَّعبير بلفظ الربِّ دون اسمِ الجلالة:

شأنُ الجبالِ بيد الرَّبِّ في إيجادها وفي إفنائِها كما يقدِّر ويأمر

آثر النَّظمُ الكريم إسنادَ نسف الجبالِ إلى لفظ الرُّبوبيَّةِ دون الألوهيَّة، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾؛ إشارةً إلى امتثالِ الجبالِ لأمر ربِّها وموجدها، ويدلُّ على أنَّ أهوالَ يوم القيامة، واقعةٌ بتدبير الإحسان، ورعاية شؤون العباد؛ إقامةً للعدل وتحقيقًا للحقِّ، ونصرًا للمظلومين.

فائدةُ إضافةِ (ربّ) إلى ضمير المتكلِّم:

سبقُ الإحسانِ بالنُّبوَّة يتبعهُ إحسانٌ بتصديق الوعيد

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ الرَّبِّ إلى ضمير المتكلِّم العائد على النَّبيِّ ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ ربّي الَّذي أحسن إليَّ هو من ينصرني يوم القيامة نصرًا لا يُبلَغ كُنهُه[1]، تعظيمًا وتفخيمًا لشأن نصرِه.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمفعول المطلق ﴿نَسْفًا﴾:

تأكيدُ النَّسفِ يرفع التَّوهُّم عن تصوُّرِ النَّسف مجازًا لا حقيقة

أكَّد النَّظم الجليل النَّسفَ بالمفعول المطلق في قوله تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾، وفائدة هذا التَّأكيد الإشارة إلى أنَّ النَّسف كائنٌ على وجه الحقيقة لا المجاز، وتقدير الكلام: ننسفُ الجبال نسفًا[2]، "والنَّسفُ يقتضي أن يفتِّتَها ذرّاتٍ تُنسفُ، ويؤكِّد سبحانه نسفَها، وفي تأكيد النَّسفِ تأكيدٌ للتَّفتيت أيضًا"[3]، وقوله: ﴿نَسْفًا﴾؛ ليؤكِّد بيقين لا يعتوره شكٌّ، بأنَّ الجبل سيتفتَّت إلى ذرّاتٍ صغيرةٍ تتطاير في الهواء، وتذروها الرّياحُ؛ لأنَّ الشّائعَ في تصوُّر النّاس أنَّ الجبالَ تندكُّ وتنهدُّ، فتتحوَّل إلى كُتَل صخريَّة، لذلك أكَّد على النَّسفِ، وأنَّ الجبال ستكون ذرّاتٍ تتطاير؛ لذلك قال في آية القارعة: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: 5]، أي: كالصُّوف المندوف[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 345.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 307.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4787.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/ 9390.

دلالةُ الفاء في جملة: ﴿فَيَذَرُهَا﴾:

استحالةُ المكانِ قاعًا مستويًا، مترتِّبةٌ على النَّسف وناتجة عنه

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بالفاء؛ للدَّلالة على أنَّ كونها قاعًا صفصفًا مترتِّبٌ على نسف الجبال، وأنَّه كائن بسببه، وجواب من سيسأل: فقُلْ لهم، يَنْسِفُها بأن يفتِّتَها ذرّاتٍ، ويجعلها كالرَّمل السّائل المتماوِج، ثمَّ يطيِّرها كالرّيح، فيذر الجبالَ والأرض قاعًا منبسطةً لا بناء عليها ولا نبات، بل أرضًا ملساء مستوية، لا ترى فيها عِوَجًا ولا نتوءًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بالضَّمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾:

الجبالُ والأرض سيكونان صعيدًا مستويًا

أجاز أئمَّةُ التَّفسير عودَ الضَّمير في قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ على الجبال والأرض، فيصلح أن يكون عائدًا على الجبال، باعتبار أجزائها السُّفليَّة الباقيةِ بعد النَّسفِ، أي: (فيذرُ ما انبسط منها، وساوى سطحُه سطوحَ سائرِ أجزاءِ الأرض، بعد نسف ما نتأ منها ونشزَ)، ويصحُّ أن يكون المراد الأرض، وقد دلَّت عليها قرينة الحالِ؛ لأنَّها هي الباقيةُ بعد نسفِ الجبال وقلعها[1].

دلالةُ ذكرِ الوصفين ﴿قَاعًا﴾ على ﴿صَفْصَفًا﴾:

استواءُ الأرض بشدَّة الزَّلزلةِ لا يزول بنسفِ الجبال

وصف النَّظمُ الجليل الجبال بعد قلعها أو الأرض بعد نسف الجبال، بأنَّها ستكون: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، وفائدة ذلك بيانُ أنَّ ذلك النَّسف لا يزيل الاستواء، حتّى لا يُفهم من إزالة الجبال: أنَّ الأرض قد صارت مختلَّة مائلة[2]، فأورد الوصفين لبيان دوام الاستواء، وللإيماء إلى شدَّة الزَّلزلة الَّتي تكون يوم القيامة، فهي بحيث إنَّها تسوّي بين النّاتئ والمنخفض.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 100.

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿لَّا تَرَىٰ﴾ عمّا قبلها:

تأكيدُ وصفِ الاستواء بتصوير كيفيَّتِهِ

فصلَ النَّظمُ البليغُ الجملة في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ سيقت لبيان كيفيَّة الاتِّصاف بالقاع الصَّفصف[1]، كما أنَّها تدلُّ على تأكيد الاستواء المدلولِ عليه بالوصفين السّابقين، وأفاد هذا التَّأكيد زيادةَ التَّهويل لتلك الأهوال.

سرُّ تقديم ﴿فِيهَا﴾ على مفعول ﴿تَرَىٰ﴾:

الأهمُّ في السّياق أولى بالتَّقديم وأجدرُ بالتَّبريز

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول به الصَّريح، في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، فلم يقل على الأصل: (لا تَرَى عِوَجًا فيها)؛ وذلك للاهتمام بالمقدِّم، والتَّشويق إلى المؤخَّر[2]، فإنَّ احتواءَ شبه الجملة على الضَّمير العائد على المتحدَّث عنه، يجعلُهُ أحرى بالتَّقديم لوقوع السّياق عنه.

بلاغةُ فنِّ التَّنكيت في استعمال ﴿عِوَجًا﴾ بالكسرِ:

لا اعوجاجَ في أرض القيامةِ مهما دقَّ القياسُ؛ لأنَّها صُنْعُ مَن أتقن كلَّ شيءٍ

في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ فنُّ التَّنكيت، وحدُّه أن يخصَّ المتكلِّمُ شيئًا بالذِّكر دون غيره، ممّا يسدُّ مسدَّه، وما يقتضيه ظاهر الكلام، لأجل نكتة في المذكور، ترجِّح مجيئه على سواه، وفي هذا السّياق نجد أنَّ أهل اللُّغة فرَّقوا بين (العِوَج) و(العَوَج)، فقالوا: العِوجُ بالكسر في المعاني، والعَوجُ بالفتح في الأعيان، وهنا يأتي هذا الفنُّ ليسبرَ غورَ هذه النُّكتةِ الَّتي تدقُّ على النَّظرة السَّطحيَّة الأولى[3].

وانطلاقًا من ذلك، فقد آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بلفظ (العِوج) بكسر العين دون (العَوج) بفتحها، في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، ومعلوم أنَّ الأرض جسم لا معنى، فإنَّما

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 319.

آثر التَّعبيرَ بما هو للمعاني في سياق الحديث عن مادّيٍّ، وذلك لجعل نفي الاعوجاجِ على أبلغ ما يكون، فلو جمعتَ أهلَ الخبرة بهندسة الأراضي وتسويتها؛ لاتَّفقوا على الحكم باستوائها على أتمِّ وجه[1]، وجاء به بصيغة التَّنكير للدَّلالة على انتفاء أيِّ اعوجاج مهما كان صغيرًا لا يُؤبه له، وهذه مبالغة في شدَّةِ الاستواء، والمراد بيانُ شدَّة الأهوال، وقوَّة ما يقع للأرض حال قيامة يوم الحساب.

نكتةُ عطفِ ﴿وَلَآ أَمۡتًا﴾ على ما قبلها:

تنويعُ الألفاظ في السّياق، لدفعِ احتمال ما يتبادر مِن سؤالٍ

عطف النَّظمُ الجليل لفظَ (الأمت) على (العِوج) في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾؛ لنفي احتمال انتفاء الانخفاض، فصرَّح بنفي الارتفاع بعطف النُّتوء على العوج، فكما لا يُرى في الأرض عوجًا، فكذلك لا يُرى فيها ما دقَّ، وصغر من الارتفاع، حتّى لو كان نتوءًا يسيرًا[2]، وهو"استئنافٌ مبيِّنٌ لكيفيَّة ما سبق من القاع الصَّفْصَف، أو حالٌ أخرى، أو صفة لـ﴿قَاعًا﴾، والخطابُ لكلِّ أحدٍ ممَّن تأتي منه الرُّؤيةُ"[3].

بديعُ الطِّباق بين (العوج) و(الأمت):

انتفاءُ الارتفاعِ والانخفاض تأكيدٌ على الاستواء التّامّ

جمع النَّظم الجليلُ بين لفظين متناقضين في الدَّلالة في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾، فطابق بين المعنيين مبالغةً في الدَّلالة على استواء الأرض، فانتفى عنها الارتفاعُ والانخفاض، فالجمعُ بينهما لتأكيد معنى الاستواء.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّسف والمحو:

النَّسفُ محوٌ مخصوص، فهو محو بجعل الشَّيء غبارًا

(نسف) أصلٌ يَدُلُّ على كَشفِ شَيءٍ[4]، والنُّسافَة ما تثُورُ من غُبارِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 88، والبقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 345.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 88.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نسف).

الأرض[1]، أمّا المحو؛ فأصله يدلُّ على الذَّهابِ بِالشَّيءِ[2]، مَحَوتُهُ مَحوًا، أي: أزَلتهُ، وانمَحَى الشَّيءُ: ذَهَبَ أثَرُهُ[3]، وفي الآية الكريمة يُراد به أن تصير الجبالُ كالهباء المنثور[4]، فعبَّر عن ذلك بالنَّسف دون المحو؛ لأنَّ النَّسف يدلُّ على كيفية محو الجبالِ يوم القيامة، وذلك بتذريتها ونسفها وفتِّها إلى غبار.

القاع والمهاد:

القاع أصْله يَدُلُّ على تَبَسُّطٍ في مَكانٍ، وهو: الأرضُ المَلساءُ[5]، والقاعُ ما انبَسَطَ مِنَ الأرض، وهيَ مُستَوِيَةٌ لَيْسَ فيها تَطامُنٌ ولا ارتِفاعٌ[6]، والمراد به في الآية الكريمة الأرضُ الملساء[7]، أمّا المهاد؛ فأصله من (مَهَدَ)، وهو أصلٌ يدلُّ على تَوْطِئَةٍ وتَسْهيلٍ لِلشَّيْءِ، ومَهَّدْتُ الأمرَ: وطَّأْتُهُ، والمِهادُ: الوِطاءُ مِن كُلِّ شَيءٍ[8]، وهو المَوضِعُ يُهَيَّأُ للصَّبيِّ ويُوَطَّأُ لينام فيهِ، والأرضُ كالمِهادِ جعلَها اللّه تَعالَى مِهادًا للعِبادِ[9]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ [النبأ: 6]، أي: فراشًا وبساطًا ووطاء[10]، فعبَّر في الآية الكريمة بالقاع؛ لأنَّه ما ستكون عليه الأرض بعد إزالة الجبال، وليس المراد جعْلَها فراشًا ممهِّدًا للنّاس.

القـاعُ أرضٌ ملساء، والمهاد أرض موطّئة للمشي

(1) الرّاغب، المفردات: (نسف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (محو).
(3) الفيّومي، المصباح: (محو).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 100.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوع).
(6) ابن منظور، اللّسان: (قوع).
(7) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 345.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مهد).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (مهد).
(10) الواحديّ، البسيط: 23/ 115.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»